أجل يا نصير الضاد

بلقياك يا عبدَ العزيز صحا القلبُ

وضجّتْ به الآمالُ، وانتفض الحبُّ

وعاد صِبا النفسِ التي هدَّها الأسى

وكم هو صعبٌ أن تشيخ فلا تصبو!

لقد كنتُ في عيشي من الناسِ يائساً

فلا الأهلُ أدنوني، ولا أخلص الصحبُ

نهاريَ ليلٌ متعباتٌ نجومُه

وسُمّاريَ الآلامُ، والسُهْدُ، والزغْبُ

يضجّون من حولي.. يرجّون بسمتي

فأبسم إشفاقاً، ويرتعش الهدبُ

فما كان أدنى ما يُرجّون ممكناً

وكيف وهمُّ القوم كالسحْبِ ينصبُّ!

إذا ازورَّ خطبٌ عن حِمى الدِّينِ ساعةً

يفاجئنا من كلِّ ناحيةٍ خطبُ

يصوِّبُ همُّ القوم نحوي سهامَه

فأنّى لقلبي أن يَقِرَّ به الوثبُ!

ومن ألفِ صوبٍ أتقي ألفَ جاذبٍ

ولولا إلهي كاد يُعجزني جذْبُ

وكـــلُّ همـــوم القـــوم تحيـــا بخـــافقي

فـــأحنو علـــى مـــا كـــان منهـــا، وأنكـــبُّ

ولـــم أخـــلُ يومـــاً مـــن صديـــقٍ يودّنـــي

ولكـــنْ إذا شـــرّقتُ جاذبـــه الغـــربُ

تبدّلـــتِ الدنيـــا، تبـــدّلَ أهلُهـــا

فراجـت بهـا الأهـواء، وامتُهِـنَ الكـذْبُ

وإن كنـتُ قـد عشـتُ الغريـبَ بأهلـه

فقـد كـان لـي بـالحبِّ مـن خـالقي قـربُ

حملـت همـومَ القـوم، عشـتُ لصحـوةٍ

بهـا يسـتعيدُ المجـدَ والعـزّةَ العـرْبُ

أذوبُ روحـي كـي أنـيرَ سـبيلَهم

وأهتـف: يـا أحـرار أمتنـا هبـوا

أعيـدوا بنـاءَ الجيـل في هـدْي شـرعنا

فنـور هـدى الإسـلام هيهـات أن يخبـوا

وأسـكبُ نـور العـين شـعراً ليهتـدُوا

تكـاد لهـم تبـدو بأبياتـه الشـهْبُ

وهيهـات أن ألفيْـتُ يومـاً منـاصِراً

وهيهـات يومـاً أن يقِـلَّ لهـم عتْـبُ

فكم هو صعبٌ أن ترى ألفَ حاقدٍ

وأنتَ رحيمُ القلب منهجُكَ الحبُ؟!

وكم هو صعبٌ أن تعيش كنعجةٍ

وليس لها إلا لذبّاحها دربُ؟!

وكم هو مخزٍ أن تخاطبَ ظالماً

بيا أيها الأتقى، وليس له ربُّ؟!

تخِذتُ إلهَ العرش ما عشتُ عاصماً

فما عاقني يوماً، ولا ردّني صعبُ

تُعَدُّ ذنوبي عند ناسٍ كبيرةً

وأكبرُ ذنبي أنه ليس لي ذنبُ

فلم تغرني في العيش «هَيْتُ زليخةٍ»

وأهونُ غدراً من زليخاته الذئبُ

ولم يغْرِني في الشعر جاهٌ ومنصبٌ

فكل اكتسابٍ بالتملّقِ لا يربو

وأطللتَ يا عبدَ العزيز بعالمي

ليصحوَ مني بعد يأسته القلبُ

أعدتَ ليَ الإيمانَ بالشعر هادياً

فأنتَ بما أيقظت منهلُه العذْبُ

ولـــولاك لـــم أحفِـــلْ بـــألفِ قصيـــدةٍ

فكـم نـابني منهـن ـ واحسـرتي ـ كـربُ!!

أســـطّرها ليـــلاً لأنشـــرَها ضحـــىً

فتُطـوى ـ كمـا أطـوي ـ وينتشـرُ الرعـبُ

فكـــم قولـــةٍ للحـــق أودْتْ بأهلهـــا

وكـم لـذَّ في قـول الحقيقـة لـي نحـبُ!

ولكنمـــا الآجـــالُ لله وحـــدَه

فسـبحانه مـا ضيِـمَ يومـاً لـه حـزبُ!

أكـــدّس أشـــعاري لجيـــلٍ مُؤَمَّـــلٍ

ومـــا كنـــتُ إلا كـــي يَعِـــزَّ بهـــا أصبـــو

ولـــو شـــئتُ تدليســاً بشـــعري لمـــا انطـــوى

ولـــو شـــئتُه مدحـــاً لـــزاد بـــه الكســـبُ

ولـــو شـــئتُه لهْـــواً لنلـــتُ بـــه المنـــى

وغنّـــى بـــه في كـــل ناحيـــةٍ ركـــبُ

وأطللـــتَ يـــا عبـــدَ العزيـــز فمرحبـــاً

فـــأنت لشـــعري اليـــوم عالمُـــه الرَّحْـــبُ

نهـــدتَ لمجـــد الشـــعر نهـــدةَ رائـــدٍ

وفي بعثـــه مـــا لان موقفـــك الصلْـــبُ

تزيـــد ببـــذل المـــال والجهـــدِ غبطـــةً

وحســـبك منـــه أن نصرتَـــه حسْـــبُ

وأنـــت بـــه الغرّيـــد إن رحـــتَ منشـــداً

تســاقاه ســقيا الــراح مــن حولــك الصحــبُ

جمعـــتَ أولـــي الألبـــاب في الشـــعر جَمعـــةً

بكـــل افتخـــارٍ ســـوف تذكرهـــا الحُقـــبُ

وقبلـــك لـــم نُنصـــر، ولا التـــمَّ شـــملُنا

ولا عرفـــت يومـــاً كنُصرتـــك الكتْـــبُ

ودلَّلـــتَ شـــعري، واســـترحتَ لنهجـــهِ

وزدتَ بـــه عجْبـــاً، فـــزاد بـــك العجْـــبُ

يزيـــد إذا غنـــاك حســـناً وبهجـــةً

كمـــا ازداد بالأمطـــار في الحقلـــةِ الخصـــبُ

علـــى حبّـــه نـــزداد في الدهـــر ألفـــةً

فنحـــن علـــى الأيـــام أنجالُـــه النجْـــبُ

إذا فرّقـــت يومـــاً أناســـاً مصـــالحٌ

يظـــل برغـــم البعـــد يجمعنـــا الحـــبُ

فـــدمْ يـــا نصـــير الضـــاد للشـــعر نـــاصراً

فـــأنت الـــذي أغنـــى ذويـــه بـــك الـــربُّ

بعثـــت بعرفـــاني إليـــك قصيـــدة

ومـــا هـــي أشـــطارٌ، ولكنهـــا قلـــبُ